ما اسمها ؟ تلك التي امامنا ، وان تترجم هذه النظرة الى لغة واضحة ، بحيث تكون في نهاية الامر ، هي الوحيدة التي تسمع مدوية ، وبمتعة بالغة ، الى الحد الذي يتذوق فيها كل سامع لها طعم متعته النابعة من ذاته ، فلكل علته ، اذ ان اللعنة ، كما هـــو معروف ، لها منتفعوها ٠

— ٣ —

كان الامر قد وصل ٠ فصيلنا يفتح النار على اسفل القرية وعلى البيوت العالية المواجهة لنا ٠ فصيل الاسناد الذي في المؤخرة يفتح النار على دائرته ، والفصيل الثالث يتمركز في اعلى القرية ومن هناك يسيطر عليها ٠ وسرعان ما فتح المدفع الرشاش فمه ونطق بعدة صليات ، برقة ، كما لو لم يكن من شأنها ان تؤذي ، كما لو كانت رماية للتسلية ٠ في البداية ، كشط شبابيك بيت مبيض بالكلس (كلس عربي ضارب الى الزرقة) ، ومصراع اخضر ، ومن ثم طبل على بيت طيني عال ، وسرعان ما خوت النيران على طول زقـــاق واسع ، ثم خرجت وقفزت متناثرة على واجهات الجدران والاسوار وبين الاشجار ، التي كانت الشمس قد بدأت تغسلها من داخل رؤوسها الكثيفة ٠ (وكانت هذه المرة تختلف تمـــام الاختلاف عن مرات سابقة ، حين يفتح مدفعك الرشاش نيرانه ، وينسيك للحظة خوفـــك السابق ، كي يعطي الاشارة للخوف الاخر بالاغارة ، الخوف الاساسي ، خوف ها — هو — ذا قادم حقا ، والذي كل ما هو آت بعده ثمل بالسكر والخدر) ٠

انهينا كركرا واحدا ، وبدأنا الثاني ٠ لم يجبنا احد ٠ كانت خراطيم نيراننا تقطـــع الهواء الذي كان ينسكب ويطير خلف مسيلها بأزيز حاد ، ثم ينسد فجأة ويعود الـــى صمته ، دون ان يعرف انه قد وصل الى نهايته ٠ رجلنا ، مويشي ، اخذ المنظار اليـــه لاستطلاع الامور ٠

« رائع » ، قال مويشي ، « لقد فاجأناهم تماما ٠ اضرب الى اليمين قليلا ٠ تلـــك البيوت ٠ صباح الخير يا جمعة ٠ يهود جاؤوكم الى القرية ! » تابع مويشي بمتعة ٠

كنا نستلقي على بطوننا ونشهد المسرحية ونستمتع ، واصابات غابي تزيدنا انفعـــالا كحكمة مويشي ، وأعيننا تجول المنطقة علها تقع على صيد ٠

وكنا الان نسمع طلقات فصيل الاسناد من الناحية الاخرى ، التي كانت تشكل ما يسمونه « نيران متقاطعة » رائعة ٠ « ثمة ما يدغدغهم هناك في حواصلهم قليلا ، ها ٠٠ ها » ، قال شخص ما ٠ ودون ان انتبه بدأت استرجع فجأة كيف كان ذلك عندنا ، في البيت ٠ قبل ايام ليست بالبعيدة ، وقبل ايام بعيدة ، بعيدة جدا ، بل ومن خلف عتبة صمت طفولة بعيدة — حين كانت الطلقات تلعلع فجأة ، طلقات من الحدود ، وطلقات من خلف البيارات، طلقات من التلال البعيدة ، طلقات ليل ، او طلقات ما قبل الفجر ، واشاعات ، وتعتيم اضواء ، وثمة ما هو كبير وجدي يهدد ويقلق ، وجري ، واسرار ، واصغاء متوتر ، واشباح ظلالية تخرج بالبنادق ، غريبة وطقوسية ، تركض في منحدر الطريق ، واصوات متوترة وشخص ما يهشها ويأمرها بالصمت — وسرعان ما كان يرتسم لي بدقة ووضوح ، كيف انه في نفس البيت ، ذلك البيت الابيض المزرقاوي والنافذة الخضراء ، يعتدل الان شخص ما فوق ما كان يفعله في خوف مفاجيء ، ثمة من يتوقف في البيت الطيني عـــن اكله ، وثمة من يهمس في مجموعة البيوت الى اليمين من كان يحدثه في هذه اللحظة :